وعليه فالمقاربة السابقة توضح أن الانحراف بالأديان السابقة كان سببا في خلق الصراعات بين معتنقيها «ولو سارت الأديان سيرها الطبيعي كرسالات من عند الله دون تحريف لالتقت جميعا في أهدافها وفي كثير من وسائلها ولكان اللاحق منها مكملا للسابق»[1].

والهدف الرئيسي من وراء هذه المقارنة هو توضيح طبيعة الإسلام –الشاملة والسمحة – وتصحيح رؤى المسلمين وغير المسلمين من أن الدين واحد، وهو الآن منصهر في بوتقة واحدة هي آخر عنقود في الديانات، يقول تعالى: «**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**»[الزمر:03].

[1] ـــ د/أحمد شلبي.مقارنة الأديان.المسيحية.ص/248.

وعلى الرغم من التشابه الكبير الموجود بين الوصايا في الإصحاح العشرين سفر الخروج:3 ــ17 وبين الوصايا في الإصحاح الخامس سفر التثنية: 7 ــ22 مما يعني مجرد تكرارها في الإصحاحين وبالرغم من وجود بعض الاختلافات بين الإصحاحين السابقين وما ورد في الإصحاح الرابع والثلاثين[1] من سفر الخروج 14 ــ26 فإن هذه الوصايا تكاد تتفق حول محاور كبرى مما يجعلنا في حلّ من استحضارها كلها والاكتفاء بما ورد في الإصحاح الخامس، إذ جاء فيه:

«لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك اله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني. وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لا يبريء من نطق باسمه باطلا. احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك، واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك

---

[1] ــ وفي الإصحاح 34 من سفر الخروج، أعيدت الوصايا التي سبق أن كتبت في الإصحاح العشرين من سفر الخروج وفي الإصحاح الخامس من سفر التثنية، مع العلم أن هذه الوصايا تفوح كلها بروح الوثنية إذ يظهر الله فيها غاضبا كغضب البشر ثم يصاب بالنوم ويعود إلى الهدوء بعد ما يطلب منه موسى الهدوء فهده صورة اله بدائي تسعه عقلية الوثنيين الذين لم يبلغوا بعد مستوى الوعي الذي يجعلهم يتقبلون فكرة التوحيد، ولعل هذا هو ما جعل جوتيه يرجح أن تكون هذه الصورة من الوصايا العشر أقدم الوصايا لما يبدو عليها من صور بدائية (ردّ مفتريات على الإسلام، ص:87 ــ 89).

الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.

أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. ولا تزن. ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك. هذه الكلمات كلّم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد» [تثنية 5: 7 ــ 22].

ويمكن استخراج الوصايا التوراتية التي وردت في هذا النص وحصرها في الجدول التالي:

الترتيب	الموضوع	السفر	الملاحظـــــــات
1	التوحيد	تثنية 6 ــ9	الجمع بين المطالبة بالتوحيد وعدم الشرك بالرب والابتعاد عن عبادة الأصنام أو السجود لها...
2	الإحسان	تثنية 10	الإحسان إلى محبي الله من بني إسرائيل فقط، وليس إلى الجوييم باعتبارهم شعوبا غير إسرائيلية.
3	القسم	تثنية 11	تحريم القسم بالباطل أو الكذب على بني إسرائيل
4	تقديس السبت	تثنية12-15	تقديس يوم السبت بحيث يحرم فيه أي نشاط على بني إسرائيل.
5	إكرام الوالدين	تثنية 16	المطالبة بإكرام الوالدين:الأب والأم

6	القتل	تثنية 17	النهي عن القتل
7	الزنا	تثنية 18	النهي عن الزنا
8	السرقة	تثنية 19	النهي عن السرقة
9	شهادة الزور	تثنية 20	النهي عن الشهادة زورا على القريب
10	الحسد	تثنية 21	النهي عن اشتهاء أو حسد امرأة وأملاك القريب

وحتى نتمكن من إجراء مقارنة بين هذه الوصايا ووصايا الإنجيل والقرآن فإننا سنحاول التطرق ــ بإيجاز ــ إلى خصوصية كل وصية من هذه الوصايا[1].

1 ــ التوحيد:

إن هذه الآيات الأربعة [تثنية 5: 6 ــ9] قد اجتمعت حول مبدأ واحد هو مبدأ التوحيد ورفض الشرك وما وقع بينهما من اختلاف دار حول موضوع التوحيد[2] ذاته. فالآية الأولى أكدت لبني إسرائيل أن الذي أنقذهم من ظلم فرعون هو الرب الإله لا غيره. أما الآية الثانية فهي بمثابة تأكيد للآية السابقة، إذ بعدما أخبر الله بني إسرائيل بما قام به من أجلهم جاء تأكيده على الوحدانية، حتى لا يشك هؤلاء في هذا المبدأ، ثم جاءت الآية الثالثة لتطلب من بني إسرائيل الكف عن صنع التماثيل والأصنام للآلهة المزيفة. وكانت الآية الرابعة في النهي عن السجود لهذه الأصنام والكفّ عن عبادتها[3].

---

[1] ــ للتوسع راجع: رد مفتريات على الإسلام ــ ص:84 ــ102.

[2] ــ راجع: النبي موسى ورسالة التوحيد ــ عبد المنعم الحفني.

[3] ــ يرى صاحب كتاب:(قصة الحضارة) أن هذه الوصية هي أساس المجتمع اليهودي الناشئ أي المجتمع الذي لا يقوم على أية شريعة مدنية، بل على فكرة الله الذي أنزل القانون وفرض فيه العقاب، والذي سمّيّ شعبه بشعب إسرائيل أي المدافعين عن الله، ص:371.

يوصلنا هذا إلى نتيجة واحدة مؤداها أن التوراة قد استهلت وصاياها بالأمر بالتوحيد، رابطة إياه بأسباب نفعية: فهو الواحد لأنه أنقذ بني إسرائيل من طغيان فرعون [تثنية 4: 34 ــ39] وهو الواحد: لأنه اختار شعب بني إسرائيل وفضله على الناس [تثنية 4: 33 ــ34] وهو الواحد لأنه سخر لبني إسرائيل الأرض وما عليها من مخلوقات بشرية وحيوانية:[تثنية 4: 47 ــ 49].

2 ــ الإحســـــان:

انتقلت التوراة مباشرة من الأمر بالتوحيد إلى الأمر بالإحسان إلى الذين قبلوا مبدأ الوحدانية الإلهية، مما يؤكد الفرضية السابقة، والتي تقوم على أن مبدأ الأمر في التوراة يقابله دائما مبدأ الجزاء الفوري. «فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا الأرض التي انتم عابرون إليها لتمتلكوها ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الربّ لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرض تفيض لبنا وعسلا» [تثنية11: 8 ــ9].

فالإحسان يقابله في التوراة الجزاء المادي الدنيوي، وهي ظاهرة توراتية خاصة، سايرت مستوى درجة الوعي الصبياني عند بني إسرائيل في تلك المرحلة من المسيرة الحضارية.

3 ــ القســـــم:

وجاء النهي عن البهتان مباشرة بعد الأمر بالإحسان، مما يعني أن التوراة انتقلت مباشرة من المبدأ العقيدي الذي هو التوحيد إلى المبادئ الخلقية، والتي منها الأمر بالإحسان والنهي عن البهتان، فضلا عن المبادئ التي سيلي ذكرها في هذا الفصل.

وكما كان أجر المحسن دنيويا كان أجر الصادق الذي لا يقسم باطلا دنيويا أيضا، فالرب لا يشفي الكاذب من الأسقام، عقابا له على ما ارتكبه من إثم القسم الكاذب.

4 ــ تقديس يوم السبت:

إن مما يلاحظ في هذه الوصايا أن التوراة ركزت على وصيتين اثنتين أكثر من الوصايا الأخرى فقد سبقت الإشارة إلى أن مبدأ التوحيد قد خصصت له التوراة أربع آي وهاهي تخصص أربع آي أيضا لمبدأ الراحة يوم السبت، باعتباره يوما مقدسا، قد ارتاح فيه الرب الآله بعد ما انتهى من خلق الكون[1][تكوين 2: 1 ــ3].

وكما سبقت الإشارة أيضا إلى أن التوراة قد ختمت أمرها بتذكير بني إسرائيل بما أسداه الله لهم من نعم، لما أنقدهم من طغيان فرعون، فإنها قد اختتمت هذه الوصية أيضا بالتذكير نفسه، إذ بعدما ذكرتهم بما قدمه الله لهم من معروف، طالبتهم بضرورة تقديس يوم السبت، حتى يكون بمثابة الشكر المستمر والتقدير الأبديّ لله على معروفه.

وهكذا فإن المنهجية التوراتية تبقى مستمرة عبر هذه الوصايا كلها، ولعل سر ذلك يعود إلى أن الإنسان اليهودي لم يكن قد بلغ مستوى من الوعي يجعله يتقبل القيام بأمور روحية، والعزف عن الأمور الضارة أو الشريرة في غياب مقياس الترغيب القائم على الجزاء الفوري. إذ هو كالطفل الذي ينبغي أن تقدم له الحلوة حتى يسمع لنصحك.

وليس هذا بأمر غريب ولا عجيب إذا عرفنا أن مستوى الوعي عند بني إسرائيل خاصة ومستوى الوعي البشري عامة، في عهد موسى عليه السلام كان مستوى صبيانيا[2]

---

[1] ــ تتعارض هذه الوصية تعارضا مع القرآن، فالله تعالى لايتعبه خلق أي شيء، فهو القادر على كل شيء ويكفيه أن يقول له كن فيكون، وقد كذب القرآن خرافة الراحة في التوراة بقوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق:38).

[2] ــ راجع ما يشبه هذا في كتاب: ردّ مفتريات على الإسلام ــ ص:87 ــ89

بمعنى أن درجة الوعي البشري كانت قد بلغت في سلم الوعي الحضاري ما يعادل مستوى وعي الطفل الذي يحتاج في تربيته إلى الجزاء والعقاب الفوريين، فهو يطلب المقابل الفوري حتى ينصاع إلى الأوامر كما هو يتطلب العقاب الفوري عند كل خطأ أو عصيان.

بمعنى أن المنهجية التي تبنتها التوراة في توجيه اليهود هي منهجية موضوعية بالقياس إلى المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها.

5 ــ إكرام الوالدين:

وطبقا للمنهجية ذاتها جاء الأمر بإكرام الوالدين مع الإشارة إلى أن الآية قد انتقلت مباشرة من الأمر بإكرام الوالدين الأب والأم إلى التركيز على توضيح السببية من الإكرام بمعنى أن الإكرام هنا يتم في سبيل غاية محددة، وهي رضا الله على المطيع ومن ثم إكرامه، مما يعني أيضا أن العاصي لهذا الأمر لا ينال هذا الجزاء.

6 ــ القتـــــــل:

وعلى خلاف الوصايا السابقة فإن النهي عن القتل قد جاء في التوراة مباشرة بدون سابق ولا لاحق تفسير أو وعيد، مما يجعل هذا النهي شبيها بالإشارة الحمراء التي تنظم المرور، فليس أمام المارة أي اختيار، عليهم بالوقوف الإجباري أمامها والانتظار حتى يأتي الضوء الأخضر، كذلك الحال بالنسبة لمن وجّه إليه هذا النهي، فعليه أن يطيعه طاعة كاملة، ويجب عليه أن لا يخرقه مهما كانت الأسباب والدوافع.

على أن التوراة قد أشارت في نهاية هذا السفر إلى الغاية من النهي عن القتل[1] وعن غيره من المناكر التي سيرد ذكرها لاحقا وتتمثل هذه الغاية في جوهر المنهج ذاته، حيث أن احترام هذه النواهي يبقى شرطا ضروريا لنيل رضوان الله في هذه الدنيا، ومن ثم خيراته، المرهونة بهذا الاحترام أو الطاعة لهذه الأوامر إذ جاء في نهاية هذا السفر: «فاحترزوا لتعملوا كما أمركم الرب إلهكم لا تزيغوا يمينا ولا يسارا. في جميع الطريق التي أوصاكم بها الرب إلهكم تسلكون لكي تحيوا ويكون لكم خير وتطيلوا الأيام في الأرض التي تمتلكونها [تثنية 5: 32 ـــ33].

وإلى هذه الظاهرة أشار القرآن الكريم في باب تذكير المؤمنين بعنت اليهود واعتبارهم الدنيا غاية الوجود البشري [البقرة: 83 ـــ86].

أما قضية الآخرة فشيء مفروغ منه، إذ هم يعدّون أنفسهم من أصحاب الجنة انطلاقا من كونهم شعب الله المفضّل أو المختار، وهذا ما كذبه القرآن الكريم أيضا: **﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** [البقرة:94 ـــ95].

---

[1] ـــ لقد كثر الحديث عن القتل والتدمير في التوراة وذلك يعود إلى النزاع المستمر بين الأسباط والانقسامات الحزبية على فترات السلم المتقطعة إلا قليلا، بل لم يكن أنبياء إسرائيل من دعاة السلم رغم ما جاء في بعض أقوالهم من تمجيد للسلم، وكان الكهنة أنفسهم مولعين بالحروب، وكانت العادة المتبعة أن تدمّر المدن التي يستولون عليها في حروبهم وأن تقطع بحدّ السيف رقاب جميع الذكور من سكان هذه المدن وأن تتلف الأرض حتى لا تصلح للزرع إلا بعد زمن طويل(قصة الحضارة ـــ ص: 377).

7 ــ الزنـــــا:

ينطبق النهي عن الزنا على ما قلناه عن القتل، إذ توقفت التوراة في موضوع الزنا عند النهي القاطع، مما يعني أن هذه الفاحشة هي كالقتل لا تحتاج إلى توضيح أو تعليل، وإنما هي تحتاج إلى نهي قطعي مع العلم أن معنى الزنا عند اليهود هو اتصال رجل بامرأة ابتاعها رجل آخر بما له ومن أجل ذلك كان اتصاله بها اعتداء على قانون الملكية، تعاقب عليه المرأة والرجل بالإعدام وذلك بناءا على أن الملكية الفردية هي أساس النظام الاقتصادي اليهودي وهذا ما أكدته الوصية العاشرة[1].

8 ــ السرقة:

جاء النهي عن السرقة في صورة قطعية حتى لا ينتاب الإنسان أي شكّ حول أسباب ودوافع السرقة، فهي مرفوضة بأمر مباشر، مثلها مثل الزنا والقتل مما يعني أن هذه المناكر الثلاثة القتل، الزنا، السرقة تتساوى في العواقب الوخيمة المترتبة على تفشيها في المجتمع.

9 ــ شهادة الزور:

لعل ما يلفت النظر في هذا النهي عن الزور هو تخصصه بالقريب إذ يفهم أن الشهادة بالزور محرّمة على القريب دون البعيد أو الغريب، مما يفسح المجال لتأويلات كثيرة حول عنصرية بعض الأحكام التشريعية في التوراة[2] اللهم إلا إذا كان القصد من هذا التخصيص هو المؤمن دون الكافر من الناس. وهذا طبقا لمبدأ

---

[1] ــ قصة الحضارة ــ ص:379.

[2] ــ يرى عبد الجليل شلبي أن اقتصار تحريم شهادة الزور على الأقارب عند اليهود هو صورة من الخلق اليهودي المتعصّب(ردّ مفتريات على الإسلام ــ ص:86 ــ87).

الأمر بالإحسان الذي خصّ به محبيّ الله [تثنية5: 10] وهو ما قد يشفع لمحرفي التوراة في هذه الصياغة لهذا النهي.

مع الإشارة إلى أن خطر الشهادة بالزور على البشرية جمعاء يعود إلى كونها مرضا فتاكا، قد يتسبب في انحلال الشبكة الاجتماعية التي سبق للتوراة أن طالبت باحترام أواصرها.

10 ــ الحسد والاشتهاء:

وعلى المنوال السابق نفسه جاء النهي عن اشتهاء ممتلكات القريب مما يؤكد لنا الفرضية السابقة المتعلقة بمكانة القريب في النسب عند اليهود[1].

ويعني هذا أن التوراة هي مجرد دستور محلي، يخص شعب بني إسرائيل وحده، ولا غرابة في هذا الموقف إذا علمنا أن المبدأ العام الذي انطلقت منه التوراة هو انفراد بني إسرائيل بنعم الرب الإله وقدسيتهم الخاصة عند الرب الإله[2].

وهذا طبقا للمقولة التوراتية الخاصة بتميز بني إسرائيل عن سائر الشعوب الأخرى شعب الله المختار[3].

---

[1] ــ راجع ــ ردّ مفتريات على الإسلام ــ ص:84 ــ92.

[2] ــ راجع: الحضارة ــ ديوراند ــ ج2 ــ ص:380 ــ382.

[3] ــ كان اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار سببا في ازدياد الكبرياء الطبيعي في أنفسهم، كما كان سببا في تقوية ما لديهم من نزعة إلى اعتزال غيرهم من الشعوب وفي حرماتهم من أن ينظروا إلى الأمور نظرة طبيعية(قصة الحضارة ــ ص: 377).

ب ــ الوصايا الإنجيلية:

وإذا كانت الوصايا التوراثية قد اجتمع معظمها ضمن سفر واحد مما يسر علينا متابعتها فإن وصايا الإنجيل قد توزعت على مجموعة من الأسفار، نوردها ــ بإيجاز وتصرف ــ فيما يلي:

«سمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تقتل، ومن قتل يستحق المحاكمة أما أنا فأقول لكم: كل من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة، ومن يقل لأخيه: تافه! يستحق المثول أمام المجلس الأعلى، ومن يقل: يا أحمق!يستحق نار جهنم..... ».

«وسمعتم أنه قيل: لاتزن، أما أنا فأقول لكم: كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها، فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى فخا لك، فاقلعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا تطرح جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى فخا لك، فاقطعها وأرسلها عنك، فخير لك أن تفقد عضوا من أعضائك ولا تطرح جسدك كله في جهنم».

«وقيل أيضا: من طلق زوجته فليعطها وثيقة طلاق، أما أنا فأقول لكم: كل من طلق زوجته لغير علة الزنى، فهو يجعلها ترتكب الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى».

«وسمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تخالف قسمك، بل أوف للرب ما نذرته له، أما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا أبدا ليكن كلامكم: نعم إن كان: نعم، أو: لا، إن كان: لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير».

«وسمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، أما آنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خدك الأيمن، فأدر له الخد الآخر..».

«وسمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم، وصلوا لأجل الذين يبغضونكم ويضطهدونكم،

فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار وغير الأبرار»[متى 5: 1 ــ48].

«احذروا من أن تعملوا بركم أمام الناس، بقصد أن ينظروا إليكم، وإلا فليس لكم مكافأة عند أبيكم الذي في السموات، فإذا تصدقت على أحد، فلا تنفخ أمامك في البوق، كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع، ليمدحهم الناس. الحق أقول لكم: إنهم قد نالوا مكافأتهم، أما أنت فعندما تتصدق على أحد، فلا تدع يدك اليسرى تعرف ما تفعله اليمنى لتكون صدقتك في الخفاء، وأبوك السماوي الذي يرى في الخفاء، هو يكافئك».

«وعندما تصلون، لا تكونوا مثل المرائين الذين يحبون أن يصلوا واقفين في المجامع وفي زوايا الشوارع ليراهم الناس. الحق أقول لكم: انهم قد نالوا مكافأتهم، أما أنت فعندما تصلي فادخل غرفتك، واغلق الباب عليك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء، هو يكافئك وعندما تصلون، لا تكرروا كلاما فارغا كما يفعل الوثنيون، ظنا منهم أنه بالإكثار من الكلام، يستجاب لهم، فلا تكونوا مثلهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه».

«وعندما تصوموا لا تكونوا عابسي الوجوه، كما يفعل المراؤون الذين يقطبون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم: انهم قد نالوا مكافأتهم. أما أنت فعندما تصوم، فاغسل وجهك، وعطر رأسك، لكي لا تظهر صائما للناس، بل لأبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء، هو يكافئك».

«لذلك أقول لكم: لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون ولا لأجسادكم بشأن ما تكتسون، أليست الحياة أكثر من مجرد طعام، والجسد أكثر من مجرد كساء؟ تأملوا طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع في مخازن،

وأبوكم السماوي يعولها... فإن أباكم السماوي يعلم حاجتكم إلى هذه كلها أما أنتم فاسعوا أولا إلى ملكوت الله وبر الله فتزاد لكم هذه كلها...»[متى6: 1ــ34].

«لا تدينوا لئلا تدانوا، فإنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم، لماذا تلاحظ القشة في عين أخيك، ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينيك؟ آو كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القشة من عينك وهاهي الخشبة في عينك أنت!يامرائي!أخرج أولا الخشبة من عينك، وعندئذ تبصر جيدا، لتخرج القشة من عين أخيك».

«إذن كل ما تريدون أن يعاملكم الناس به، فعاملوهم أنتم به أيضا هذه خلاصة تعاليم الشريعة والأنبياء». [متى 7: 1 ــ12].

تلك هي ما يسميه الإنجيل وصايا صغرى، أما الوصية العظمى فهي ــ كما وردت فيه ــ:

«يا معلم ما هي الوصية العظمى في الشريعة؟ فأجابه: تحبّ الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك! هذه هي الوصية العظمى الأولى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين تتعلق الشريعة وكتب الأنبياء»[متى22: 13 ــ40].

وحتى تنجلي لنا بوضوح معالم هذه الوصايا، فضلنا تأطيرها ضمن الجدول التالي:

الترتيب	الموضوع	الإنجيل	الملاحظـــــــــــة
1	القتل	متى5: 21ــ26	لا ينهى عن القتل فحسب وإنما ينهى عن كل ماله صلة به
2	الزنا	متى5 :27 ــ30	لا ينهى عن الزنا الفعلي فحسب بل هو ينهى عن كل ما قد

			يؤدي إلى ذلك
3	الطلاق	متى5: 31ــ32	يحرم الطلاق في غياب سبب قاهر، كما يحرم الزواج بمطلقة
4	القسم	متى5: 33ــ37	ينهى عن القسم بأي شيء كان
5	القصاص	متى5: 38ــ42	ينهى عن ردّ الشر بالشر، ويأمر بالسماحة الكاملة
6	المحبة	متى5: 43ــ48	يأمر بحب الناس بما فيهم الخصم
7	الرياء	متى 6: 1ــ18	ينهى عن التظاهر بعمل الخيرأو العبادة
8	تقديم الآخرة على الدنيا	متى6: 19ــ34	الأمر باتباع ما ينفع في الآخرة قبل الدنيا
9	المثل بالمثل	متى 7: 1ــ12	الأمر بعدم السخرية من الآخر ومعاملته معاملة حسنة تماثل ما تريد أن تتعامل به
10	حب الله	متى22: 36-40	محبة الله من محبة الناس

وعلى منوال المنهجية المتبعة في الفصل السابق، نحاول مسايرة عناصر هذه الوصايا، حتى يتسنى لنا ــ في النهاية ــ الخروج بمجموعة من الملاحظات حول وجوه الشبه والاختلاف بين وصايا الإنجيل ووصايا التوراة من جهة، ووجوه الشبه والاختلاف بين وصايا العهدين ووصايا القرآن الكريم من جهة أخرى.

1 ــ القتل:

إذا كانت التوراة قد نهت عن القتل بوصفه جريمة نكراء تستحق العقوبة القصوى فإن الإنجيل لم ينه عن فعل القتل باعتباره جريمة شنعاء بقدر ما أمر بضرورة تقديم العفو أمام كل مكروه، تجنبا لتكراره أو مضاعفته، مما يعني أن منكر القتل في الإنجيل هو خطيئة كبرى، وعليه فإن الإنجيل يحذر من كل ما قد يكون سببا دافعا لهذه الجريمة من غضب أو غيض أو شتم أو نميمة أو غيرها من المناكر التي قد تدفع بصاحبها إلى ارتكاب جريمة القتل.

على أن النهي عن المنكر في الإنجيل لم يقرن بغاية دنيوية، كما كان الشأن في التوراة، وإنما اقترنت نتيجته بالعقاب والجزاء الأخروي فقط.

كما أن المنهجية الإنجيلية في النهي عن القتل، وعن غيره من المنكرات ــ كما سنرى ــ قد تجلت في رفض المنهجية التوراتية التي اكتفت بالنهي عن المنكر في حد ذاته دون أن تتطرق إلى ما يكتنفه من موبقات ثانوية أخرى كالغضب والحقد والكراهية....

ذلك ما يجعلنا نعتقد أن الإنجيل ــ على ما تميزت به دعوته من سماحة ــ قد شدد في النهي عن المنكر تشديدا فاق أحيانا تشدد التوراة ذاتها.

غير أن تشدد الإنجيل جاء من تركيزه على الأسباب أكثر منه على النتائج المنكر[1] لهذا وجدناه يقول دائما: سمعتم إنه قيل أي في التوراة كذا وكذا، أما أنا فأقول لكم كذا وكذا. كما كان ــ دائما ــ حكمه حول الأسباب الظاهرة والخفية للمنكر، وهذا بخلاف التوراة التي قد توقفت عند المنكر ذاته.

---

[1] ــ راجع مثلا: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ــ ص: 104 ــ132،(فقد تعرض الكاتب هنا إلى جناية القتل وكيفية التعامل معها في القرآن الكريم).

لقد نهت التوراة ــ مثلا ــ عن القتل، لكن الإنجيل قد نهى عما قد يسبب القتل من دوافع مباشرة أو غير مباشرة.

كما أن ما يلفت الانتباه هنا أن النهي عن القتل قد تصدر الوصايا في الإنجيل، وهذا على خلاف ما هو الشأن في التوراة، مما يدفعنا إلى التساؤل عن السبب:

هل يعود هذا إلى أن ظاهرة القتل كانت قد تفشت ــ وقتذاك ــ في المجتمع الإسرائيلي، مما تطلب أن يأتي النهي عن القتل في مطلع الوصايا ؟ أم يعود ذلك إلى أهداف تشريعية محض[1].

2 ــ الزنـــــــا:

وعلى المنوال السابق نفسه جاء النهي عن الزنا في الإنجيل، إذ هو لم يتوقف عند النهي بـــلا كما كان الشأن في التوراة وإنما راح إلى أبعد من ذلك، بحيث صارت مجرد النظرة بقصد الاشتهاء زنا، ومن ثم تستحق العقوبة التي تتطلبها فاحشة الزنا الفعلية.

وكما اقترن النهي عن القتل في الإنجيل بالعقاب الأخروي فإن العقاب المترتب على فاحشة الزنا قد اقترن أيضا في الإنجيل بالآخرة، وذلك على خلاف ما رأيناه في التوراة.

3 ــ الطلاق:

ولم يجد الإنجيل في تحريم الطلاق عن منهجيته المتبعة في النهي عن القتل والزنا، إذ هو قد عدّ الطلاق الذي سمحت به التوراة عملية شنيعة، وقد اشترط في الطلاق توفر سبب واحد هو الزنا، وبغيره يحرم الطلاق، كما حرّم إعادة زواج المطلقة، واعتبر ذلك زنا، مما يعني أن عملية الزواج غير مسموح بها إلا مرة واحدة في العمر، مهما كانت الظروف والأسباب.

---

[1] ــ هذا ما أكده: ويل ديوراند في كتابه(قصة الحضارة) ــ ج2 ــ ص:376 ــ377.

ويبدو أن الإنجيل لم يخالف التوراة، في جوهر النهي عن الطلاق بقدر ما خالفه في الكيفية التي يجوز فيها الطلاق.

نستخلص من هذا أن الطلاق في الإنجيل لم يبق عملية بسيطة ــ كما كانت عليه الحال في التوراة ــ وإنما صار الطلاق محرما، إلا إذا توفرت علة كبرى، وهي الزنا.

وهكذا فإن ظاهرة الطلاق قد مرت عبر مرحلتين: كانت في الأولى التوراة عملية مطلقة، لا تحدها حدود معينة، ولا تحكمها قواعد محددة، وصارت في الثانية الإنجيل عملية محدودة، بحيث لا تجوز إلا في حالة واحدة هي الوقوع في فاحشة الزنا.

وتأتي المرحلة الثالثة والنهائية ــ كما سنرى في القرآن ــ لتصبح عملية الطلاق مقننة[1]، ومحصورة بقواعد وأحكام تخضع لميزان عادل، قاعدته: لا ضرر ولا ضرار.

4 ــ القســـــم:

إذا كانت التوراة قد نهت عن القسم في شكله المطلق فإن الإنجيل قد قام بتصحيح هذه القاعدة، إذ حصرها في كل ما قد ينجم عنه لون من ألوان القسم أو الحلف بحيث أن مجرد القسم، ولو كان صادقا، هو مرفوض في حد ذاته وينبغي ــ اجتنابا للقسم ــ الاكتفاء بالجواب: نعم، أو، لا، بدلا من الاستعانة بالقسم المحرّم، مما يعني أن تبييت ظاهرة الصدق يصبح شرطا ضروريا في المعاملة بين الناس. فلا حاجة إلى الشك في ما يقوله الغير أو يقوم به. وهي أعلى درجات الصدق المطلوب توفرها في المجتمع. ولعل أعظم شخص مثل هذه السمة هو الرسول محمد ﷺ الذي بلغت ثقة الناس فيه أن لقبوه بالأمين، كما أن دعوته قامت ــ كما سنرى على مبدأ الصدق في المعاملة.

---

[1] ــ للتوسع راجع: معا على الطريق: محمد والمسيح ــ خالد محمد خالد ــ دار العلم للملايين ــ بيروت، د. ت.

5 ــ القصاص:

وإذا كانت التوراة قد أمرت بني إسرائيل بمراعاة الصرامة في القصاص فإن الإنجيل قد رفض هذه الصرامة في تطبيق الأحكام، وأمر أتباعه بضرورة تقديم يد العفو على عصا القصاص، وذلك طبقا للمنهجية الإنجيلية القائمة على أن سر التربية لا يكمن في العقاب الصارم بقدر ما هو كامن في العفو الشامل.

وعلى خلاف صرامة التوراة المطلقة وسماحة الإنجيل المفرطة فإن الأمر بالقصاص في القرآن قد تميز ــ كما سنرى ــ بالاعتدال إذ هو قد وقف بين الإفراط التوراتي والتفريط الإنجيلي.

6 ــ المحبـــــة:

على خلاف موقف التوراة من الغريب أمام القريب فإن الإنجيل أمر أتباعه بالإحسان وإكرام الغريب من الناس كالإحسان وإكرام القريب منهم.

وبهذه الخصلة يكون الإنجيل قد صحّح الخطأ الذي وقع فيه اليهود لما راحوا يفضلون أنفسهم وأقاربهم على غيرهم من الناس، منطلقين في ذلك من الاعتقاد الخاطيء بأن الله قد فضلهم على الناس أجمعين، بالسلالة وليس بالإيمان والعمل. وهذا ما يفرضه المنطق، فضلا عن أن القرآن قد جاء بما يوضح أسباب التفضيل في آيات كثيرة، تطالب المؤمنين بضرورة إقامة العدل بين الناس أجمعين.

7 ــ الربـــــــا:

نظرا إلى ما عرف عن اليهود من ميل شديد إلى الربا وحب التظاهر في إتيان المعروف وتأدية العبادة، إلى درجة أن صارت هذه العادة السيئة ظاهرة طبيعية في عرف بني إسرائيل، فإن الإنجيل قد تصدى لها بالرفض القاطع.

ويعود رفض هذه الظاهرة إلى خطورتها على البشرية جمعاء إذ هي تتسبب في انتشار النفاق بين الناس مما يؤدي بهم إلى الضلال ومن ثم إلى الانحلال الخلقي

والتفسخ الاجتماعي خاصة إذا علمنا أن مآل الجزاء والعقاب في الإنجيل ليس دنيويا كما اعتقد بنو إسرائيل وإنما مآلها الآخرة ففي الآخرة يتم الحساب الجزاء والعقاب ومن ثم فلا داعي للرياء والتباهي بالعبادة والمعروف في الدنيا.

ولعل هذا كله، نهى القرآن الكريم عن الربا في أكثر من آية، فضلا عما ورد من نهي عنه في الأحاديث الشريفة، وهذا طبقا للمنهجية الإسلامية التي تنصّ على أن ميزان الجزاء والعقاب لا يخضع إلى ما ظهر من أعمال خيرة أو شريرة فحسب وإنما يقوم ــ بصورة خاصة ــ على ما ضمر منها وبطن، فالنية أساس كل سلوك دنيوي.

8 ــ العبرة بالآخرة:

وعلى عكس ما ورد في التوراة، من أن جزاء الطاعة لله هو العيش الرغيد في الدنيا فإن الإنجيل قد نص على أن جزاء الطاعة لله هو نيل رضوان الله في الآخرة مما يعني أن نشاط الإنسان في الدنيا هو مجرد اختيار أو بلاء يعقبه النجاح أو الرسوب في الآخرة.

وبنزول القرآن الكريم زال هذا التباين بين التوراة والإنجيل إذ جاء القرآن بعملية توفيقية[1] بحيث صارت الدنيا مزرعة للآخرة فهي التربة التي يغرس فيها ما يقتطف في الآخرة، وعليه فما هو صالح في الدنيا يكون صالحا في الآخرة، كما أن ما هو طالح في الدنيا يكون حتما طالحا في الآخرة. مما يعني أن الدنيا ليست مجرد قنطرة طبيعية للآخرة، كما يعتقد النصارى ولا هي أساس الوجود كله كما اعتقد اليهود، حين جعلوا من الوجود الدنيوي همهم الوحيد، وإنما الدنيا، هي مرحلة ضرورية من المسيرة البشرية، بحيث يتمكن فيها الإنسان من الاختيار الذاتي بين ما

---

[1] ــ راجع مكانة القرآن في التوراة والإنجيل في كتاب(رد مفتريات على الإسلام ــ ص:84 ــ96).

يسعده فيها أولا، وفي الآخرة ثانيا، وبين ما يتعسه فيها وفي الآخرة أيضا الآخرة ثانيا، وبين ما يتعسه فيها وفي الآخرة أيضا، وهي سنة الله في أرضه، إذ اقتضت سنته ــ سبحانه وتعالى ــ أن يهبط الإنسان إلى الأرض الدنيا لكي تتاح له فرصة الاختيار الحر بين ما يسعده وما يتعسه عبر السرمدية.

9 ــ كما تدين تدان:

إذا كانت التوراة قد ساوت بين العقاب والجزاء في ميزان القصاص، فإن الإنجيل قد أمر بالعفو عن الجاني، على اعتبار أن الخالق وحده سيقوم ــ في الآخرة ــ بتسليط العقاب اللازم على المذنب، وعلى هذا الأساس طالب الإنجيل المذنبين بالتوقف عن الخطايا، ودعاهم إلى معاملة غيرهم كما يريدون أن يعاملوا هم أيضا.

ولعل هذا ما جعله ينتهي إلى هذه الخلاصة الجامعة ــ «إذن، كل ما تريدون أن يعاملكم الناس به، فعاملوهم أنتم به أيضا»[متى7 : 12] ــ وهي الجزء الثاني من الوصية العظمى [متى 22: 39].

وعلى أساس هذه القاعدة الجامعة المانعة أقام الإسلام ــ كما سنرى ــ أركان الإيمان السليم حين أوصى المؤمنين بحب لغيرهم ما يحبون لأنفسهم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [حديث شريف]، وهذا على اعتبار أن المؤمنين الحقيقيين مثلهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

10 ــ محبة الله:

جاءت الدعوة إلى حب الله مقرونة بالدعوة إلى حب الغريب، ضمن الوصية العظمى في الإنجيل، مما يعني أن المحبة، هي عمود الوصايا كلها في الإنجيل.

على أن شعيرة المحبة تخلو هنا من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، فهل هذا يعني أن الإنجيل قد تحاشا التوحيد، لقيامه على الشرك؟ أم هو قد عدّ المحبة الإلهية جزءا من التوحيد؟

ج- الوصايا القرآنية

إذا كان الاختلاف العام بين العهدين قد تراوح ــ من حيث منهجية الأمر والنهي ــ بين درجتي التشديد التوراتي والتسامح الإنجيلي فإن المنهجية القرآنية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تميزت بالاعتدال أو التوسط بين التشديد في تطبيق القصاص والعفو عن المخطيء وذلك تبعا لنظرية مقتضى الحال.

وعلى غرار التوراة والإنجيل، فإن القرآن الكريم قد ترددت فيه أيضا هذه الوصايا كلها، منجمة أو أشتاتا[1]. إذ توزعت على سور كثيرة، وإن كانت قد اجتمعت أحيانا في آيات متتابعة، كما هو الشأن في سورة الأنعام التي جاء فيها قوله تعالى: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَ تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ منْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ به لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام:151 ــ153].

---

[1] ــ لا يوجد في القرآن وصايا عشر وإنما وجدت فيه وصايا كثيرة سماها بعض الدارسين وصايا القرآن بهذا الإسم من باب التقليد والمقارنة لا من باب العدد والترتيب.

وقد أطلق الدارسون على هذه الآيات الثلاث اسم الوصايا العشر لتذييلها في آياتها الثلاث بقوله تعالى:﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ كما ورد عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «من سره أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات»[1]، لقد كان الخطاب في هذه الآيات الثلاث موجّها من رسول الله ﷺ إلى المؤمنين، مما يعني أن ما جاء فيها يتم تبليغه من الرسول ﷺ مباشرة إلى المؤمنين من الناس. وهذا ما جعل هذه الآيات تتميز بالإشارات السريعة أو الخاطفة، على اعتبار أن الرسول ﷺ سيتكفل بالشرح والتفصيل.

اسم السورة: **الأنعام**

عدد آياتها: 167 ورش، 165 حفص

رتبتها في المصحف: 6

رتبتها حسب النزول: 55

مكان النزول: مكة باستثناء بعض الآيات منها152،153،154 فهي مدنية، مما يعني أن الوصايا نزلت في المدينة[2].

الترتيب	الموضوع	الآية	الملاحظات
1	التوحيد	152	الافتتاح بالنهي عن الشرك
2	الإحسان	152	ثم الأمر بالإحسان إلى الوالدين
3	قتل الأولاد	152	ثم النهي عن قتل الأولاد خوفا من الإملاق
4	منكر الفاحشة	152	ثم النهي عن الفواحش ما ظهر منها

[1] ــ الشيخ محمود شلتوت ــ الوصايا العشر ــ دارالشروق ط3 ــ القاهرة1980ــ ص:10.

[2] ــ اعتمدنا هنا قراءة ورش.

			وما بطن
5	القتل	152	اختتام الآية بالنهي عن قتل النفس المحرمة شرعا
6	حفظ الأمانة	153	النهي عن استغلال أموال اليتيم القاصر استغلالا غير شرعي
7	الكيل والميزان	153	النهي عن تطفيف الكيل والغش في الميزان
8	العدل	153	الأمر بإقامة العدل بين الناس
9	الوفاء	153	النهي عن خرق المواثيق
10	الصراط المستقيم	154	الأمر باتباع سبيل الله واجتناب كل ما يؤدي إلى الضلال

كما وردت هذه الوصايا مجتمعة أيضا في سورة الإسراء التي جاء فيها قوله تعالى، مخاطبا رسوله الكريم:

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا، وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ أن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا. وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، أن الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا، وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا، أن رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا، وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا، وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا، وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا، ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:22 ـــ39].

اسم السورة: **الإسراء**

عدد آياتها: 111 حفص، 110ورش

رتبتها في المصحف: 17

رتبتها في النزول:50

مكان النزول: مكة[1]، باستثناء الآيات التالية: 26،32،33،57 ومن 73 إلى 80 فهي مدنية.

---

[1] ـــ نشير إلى أن هذه السورة مكية ولكنها اشتملت على مجموعة من الآيات المدنية، مما يعني أن فيها وصايا تخص الناس عموما، حين كان القرآن يخاطب قوما لا تزال العقلية الجاهلية تعشش فيهم كقتل البنات خشية إملاق... كما اختصت آياتها المدنية بالمجتمع المؤمن، حيث كان الإسلام قد بدأ ينتشر بين الناس، مما أدى إلى نزول آيات تشريعية، كما هو شان الآيات السابقة.

الترتيب	الموضوع	الآية	الملاحظـــــــات
1	التوحيد	22	الافتتاح بالنهي عن الشرك واختتام الوصية بالنهي نفسه
2	الإحسان	25ـ23	الأمر بالإحسان إلى الوالدين
3	الصدقة	26	الأمر بمساعدة الغير
4	التبذير والتقتير	30ـ26	النهي عن التبذير بكل أنواعه والنهي عن التقتير أيضا
5	القتل	33ـ31	النهي موجه إلى أهل مكة الذين كانوا يقتلون أولادهم خوفا من العار والجوع. وجاء النهي عن القتل في آية أخرى تشريعا عاما يخص الناس جميعا
6	الزنا	32	النهي عن الزنا والأمر بالابتعاد عنه تحت للأسباب والدوافع
7	حفظ الأمانة الوفاء بالعهد	34	النهي عن اختلاس أموال اليتيم والأمر بالوفاء بالعهد
8	الكيل والميزان	35	النهي عن التطفيف في الكيل والخسران في الميزان
9	الكذب	36	النهي عن الافتراء والبهتان
10	الكبرياء	38ـ37	النهي عن الكبرياء والتبختر بين الناس

1 ــ التوحيـــد:

لقد تصدرت الوصايا الواردة في سورة الأنعام دعوة الاستماع إلى ما حرّمه الله على عباده المؤمنين: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** ﴾ [151].

ويقترب هذا المدخل من حيث المنهج التربوي بما ورد أيضا في التوراة التي تصدرت وصاياها دعوة بني إسرائيل إلى الاستماع إلى ما أوصى الله به رسوله موسى عليه السلام من وصايا [تثنية 5: 1 ــ6].

واستهلت هذه الوصايا ــ كما هو الشأن أيضا في التوراة بدعوة المؤمنين إلى عدم الإشراك بالله ــ سبحانه وتعالى، مما يستنتج منه الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك[1] علما بأن الأسلوب نفسه قد اتبع في الآية 22 من سورة الإسراء، حيث جاء النهي عن الشرك: **﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا﴾** .

يفهم من هذا، دعوة القرآن إلى اجتناب الشرك بالله انطلاقا من منهجية محددة، هي منهجية النهي عن المنكر. علما بأن القرآن قد استغل هذا المنهج أيضا في موضوع التوحيد. بمعنى أن القرآن قد خاطب المؤمنين بالنهي[2] عندما طالبهم باجتناب الشرك: **﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾** [الإسراء:39]. وخاطبهم بالأمر لما طالبهم بالتوحيد: **﴿قل هُوَاللهُ أَحَد﴾** [الإخلاص:1]، على أن ما أضافه القرآن ــ في موضوع التوحيد ــ[3]لا يكمن في النهي القاطع عن الشرك فحسب، وهو ما لم يأت به العهدان، وإنما هو يكمن في تحديد مكانة الرسل من الله، فلم يعد ينظر إليهم بوصفهم أبناء الله ــ كما اعتقد اليهود والنصارى ــ وإنما صار ينظر إليهم

---

[1] ــ راجع: أساليب التشويق والتعزير في القرآن الكريم، ص: 152 ــ153.

[2] ــ سبقت الإشارة إلى ما ورد عن الإمام أحمد من أن «النهي عن المنكر أشد من الأمر بالمعروف «وهذا على أساس أن اجتناب المنكر أفضل من إتيان المعروف(جامع العلوم والحكم ــ ص:252 ــ257).

[3] ــ إن القرآن الكريم كما تؤكد آياته ليس دينا جديدا، بدعا من الأديان، ولكنه رسالة الأنبياء منذ آدم إلى محمد ﷺ كلهم دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد وكلهم نهوا عن الشرك. راجع: رد مفتريات على الإسلام ــ ص:91.

باعتبارهم بشرا كسائر الناس، ولا يختلفون عن غيرهم من الناس أبناء آدم إلا بما فضلهم الله به من مسئولية حمل الرسالة الربانية إلى الناس.

2 ــ الإحســـــان:

ارتبط الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالنهي عن الشرك بالله في القرآن الكريم الأنعام:152، الإسراء:13 مما يوحي بأهمية وعظمة عملية الإحسان إلى الوالدين في الإسلام، ذلك ما سبق أن وجدناه أيضا في التوراة التي انتقل الأمر فيها من المطالبة التوحيد إلى ضرورة إكرام الوالدين، مع الفارق الكبير بين مكانة الوالدين في القرآن الكريم والحيز الصغير الذي سخرته لهما التوراة.

لقد نظر القرآن إلى الوالدين نظرة تقديس، في حين جرّدتهما التوراة من هذه المكانة، أما الإنجيل فلم يهتم بهما أصلا.

3، 5 ــ الوأد والقتل:

لقد ارتبط النهي عن وأد الأولاد بقتل النفس المحرّمة في الآية 152 من سورة الأنعام مما يعني أن الجزء الأول من القتل وهو ما يسمى بالوأد كان مجرد مرحلة مؤقتة، تطلبتها ظروف الفاقة والجوع في المجتمع الجاهلي، فجاء النص القرآني لينهى الناس عن الاستمرار في هذه الجريمة، ثم أردف القرآن عن قتل النفس المحرمة في غياب الأسباب الشرعية، مما يعني أن النهي عن القتل هنا، لم يعد كالنهي في الوأد هناك، فإذا كان الأول محرّما شرعا ــ مهما كانت أسباب الجوع والفقر قوية الإسراء:31 فإن النهي عن القتل في الجزء الثاني من الآية 152: الأنعام وآية33: الإسراء يبقى مشروطا بعدم توفر الأسباب الداعية إلى ذلك[1].

---

[1] ــ على الرغم من أن هذه الظاهرة قد انتهت منذ عهد قديم في المجتمعات الإسلامية فإنها لا زالت موجودة في المجتمعات الأخرى، وقد بدأت تتوسع في عصرنا بانتشار الفقر بين الناس.

ولعل ما يؤكد هذا الفهم هو ما ورد أيضا في سورة الإسراء آية:31 إذ جاءت هذه الآية مباشرة بعد تحذير الأبناء من العقوق والعصيان الإسراء:23ــ30.

4 ــ الفواحـــش:

وقد توسط النهي عن القتل والوأد النهي عن ارتكاب الفواحش الأنعام:152، مما يعني أن الفواحش جامعة لكل المناكر، فهي تتضمن جرائم الوأد والقتل، كما تشمل مناكر شنيعة أخرى، سواء ما ظهر منها أو ما لم يظهر منها أمام الناس كالنميمة والبغي والحسد والحقد... كل هذا شر، ينبغي الابتعاد عنه. وما استعمال عبارة لا تقربوا إلا حجة قاطعة على أن الفواحش مثلها مثل الأمراض المعدية، تصيب كل من اقترب من المعتل. لهذا وجب عدم الاقتراب منه، منعا للعدوى.

ولعل هذا يذكرنا بما ورد من نهي عن فاحشة الزنا في سورة الإسراء آية:32 حيث انجلى فيها بوضوح النهي عن الاقتراب بكل ما يمت بصلة إلى فاحشة الزنا.

وتنتهي الآية السابقة الأنعام:152 بقوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**، مما يجعلنا نعتقد أن عمليتي النهي والأمر في الوصية السابقة الأنعام:152 لا تتطلب مجرد الطاعة العمياء أو الانصياع التلقائي لهذا الطلب، وإنما هي تتطلب التفكير في الدواعي التي استدعت هذا الأمر وذلك النهي.

وبعبارة أخرى إن المطالب التي جاءت بها هذه الوصية كانت ذات طابع منطقي، بحيث هي لا تخرج عن نطاق ما يقبله العقل أو يرفضه فالعقل يستطيع أن يدرك عوامل التوحيد ويتخلى عن دوافع الشرك، وبالعقل يتمكن الإنسان من إدراك مكانة الوالدين في حياته، وبالعقل يستطيع المرء أن يدرك أيضا عواقب منكر قتل النفس في غياب الأسباب الشرعية الداعية إلى ذلك.

ونفهم من هذا أيضا أن هذه المطالب ــ التي وردت في الآية 152 من سورة الأنعام ــ تقع في دائرة العقل، وذلك على عكس الوصيتين التاليتين اللتين تقع إحداهما في دائرة الذاكرة وتقع الثانية في دائرة القلب[1].

ويتماشى هذا بالطبع مع روح الوصايا وجوهر أبعاد كل واحد منها: فإذا كانت الأولى تنتمي بالدعوة إلى استعمال العقل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:152] فإن الثانية تنتهي بالدعوة إلى استعمال الذاكرة ﴿لَعَلَّكُمْ تذكرون﴾ [الأنعام:153]، وتنتهي الوصية الثالثة بالدعوة إلى استعمال القلب ﴿ لَعَلَّكُمْ تتقون﴾ [الأنعام:154].

7،6 ــ النزاهة في المعاملة:

وعلى المنوال نفسه جاء النهي عن استغلال أموال اليتيم في غياب المصلحة الخاصة به، متبوعا بالأمر الصريح بالابتعاد عن الغش في الميزان والتطفيف في الكيل الأنعام:153، الإسراء 34 ــ35 مما يدل على أن المال ــ في حياة الإنسان ــ قد يكون خيرا كما قد يكون شرا، وذلك يعود إلى المنظور الذي ينظر منه إليه، وإلى الطريقة التي يتعامل بها مع المال فإذا كانت هذه المعاملة بعيدة عن كل أنواع الاستغلال والغش فإن المال يكون سبيل خير، وأما إذا كانت هذه المعاملة في إطار يرفضه الشرع فإن المال يتحول إلى وسيلة شريرة.

وهكذا فإن المنهجية القائمة على معادلة النهي عن المنكر ﴿لاَ تَقْرَبُوا﴾ والأمر بالمعروف ﴿أوفوا﴾. قد تكاملت عناصرها لتصبح قاعدة ثابتة، يتميز بها القرآن عن التوراة والإنجيل في هذا المجال الخاص بالعلاقة الجدلية بين المال والإنسان في الدنيا.

---

[1] ــ لقد توسعنا في هذا الموضوع في كتابنا مطبوع بديوان المطبوعات الجامعية ــ عن المنهج الذاكراتي في الفكر الديني عام 1998.

8 ــ العـــــــدل:

إن العدل هو أساس الوجود البشري، وبدونه تتحول الدنيا ــ حتما ــ إلى غابة حيوانية. وقد أوصت جميع الأديان السماوية ــ فضلا عن القوانين الوضعية ــ باحترام قانون العدل، ولكن ما أضافه القرآن الكريم إلى ما جاء في العهدين هو أنه قد أفرغ مصطلح العدل من الشروط القاصرة التي ألحقها به اليهود حين ربطوه بالقريب فقط، فالعدل في القرآن الكريم قد جاء في صورة أمر بمعروف، مما يعني أن عدم الانصياع إلى هذا الأمر هو منكر في حد ذاته. كما أن الأمر بالعدل في القرآن، سواء في هذه الآية أو في الآيات الأخرى قد شمل الناس جميعا، فلا تمييز في تطبيق ميزان العدل بين إنسان وآخر، بغض النظر عن الاعتبارات أو الحيثيات التي قد تكتنف عملية الإنصاف القائمة على العدل جاء في قوله تعالى مثلا: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المائدة:9].

9 ــ الوفاء بالعهد:

العهد أمانة مقدسة، يجب أن يحافظ عليها المؤمن مهما كانت الأسباب، فالأمر بالوفاء هنا صريح، لا ينتابه أي شك في احتمال التراجع عن الوفاء، ولعل ما يؤكد هذه الحتمية هو أن الآية قد انتهت بمطالبة المعنيين بالأموال والعدل والعهد بعدم النسيان: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ فعلى هؤلاء أن يبقوا متذكرين كل النواهي والأوامر، مهما كانت الأسباب، وإلا تحوّل الخير إلى شر في حضور نسيان هذه الأوامر والنواهي: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات:55].

إن عملية التذكير تبقى أساس المنهجية القرآنية في هذا الميدان الذي طالما تخلى عنه بنو إسرائيل في السابق. ولهذا كان مطلب التوراة دائما هو: **لا تنسى**، أما

مطلب القرآن ــ في هذا المجال ــ فكان: **ذكّر** الأنعام:70، ق:45، الذاريات:55، الطور: 27، الأعلى:9، الغاشية:20....

وبين عملية النهي عن النسيان ومنهجية الأمر بالتذكير فرق كالفرق بين عملية العقاب الصارم عند النسيان وعملية الجزاء عند التذكر.

10 ــ اتباع الصراط المستقيم:

إن هذه الوصية التي تضمنتها آية بكاملها الأنعام:154، قد اختصت بأمر المؤمنين باتباع سبيل الله، وبنهيهم في الوقت ذاته ــ عن اتباع السبل الأخرى، لأن ذلك يعني الضلال المبين أو الخروج عن الطريق المرسوم للمؤمنين في هذه الدنيا.

ولعل ما يؤكد هذا أيضا هو أن هذه الوصية قد انتهت بإشعار المؤمن بأن محافظته على الطريق المعلوم هو الذي سيجعله من المتقين للشر، أي الناجون من الخطر دنيا وآخرة: **﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة:5 ــ7].

فصراط الله يؤدي إلى رضوانه، وصراط المغضوب عليهم والضالين، يؤدي إلى عذاب السعير.

نصل من هذا كله إلى أن هذه الوصايا قد اشتملت على كل ما ورد في التوراة والإنجيل، مع اختلاف من حيث البعد المنهجي عن وصاياهما لقد لاحظنا أن وصايا التوراة قد ارتبطت بما يقابلها في ميزان الجزاء والعقاب العاجلين الدنيويين، في حين ارتبطت وصايا الإنجيل بما يقابلها في ميزان الجزاء والعقاب الآجلين الأخرويين، أما الوصايا القرآنية فقد اجتمعت في ميزان الجزاء والعقاب بين العاجل الدنيوي والآجل الأخروي، مما يعني أن ثمن المعروف الخير الدنيوي ليس مقصورا على ما يربطه بالدنيا كما هو في التوراة، ولا هو مقصور على ما يربط بالآخرة كما اعتقد النصارى، وإنما ثمن المعروف في القرآن ــ والإسلام عامة ــ كالشجرة

المثمرة التي يجني منها صاحب المعروف رزقه في الدنيا والآخرة معا، أي إنه يستفيد بجنيه هنا، وينال أجره هناك.

وعلى هذا فلو تصورنا هذه الوصايا القرآنية في شكل مجموعات، لأمكننا أن نستخلص ما يلي:

مجموعة أ

مجموعة ب

مجموعة ج

مما يعني أن الحيز المشترك ج بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الوصايا القرآنية هو حيزّ الجزاء والعقاب الذي يعد ناتجا مباشرا لمجموعتي الأمر أ والنهي ب.

ولو حاولنا تشخيص هاتين العمليتين في المعادلات التالية لأمكننا التوصل إلى تحديد نسبة درجة التذبذب بين الخير والشر في محوري الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ـــ الأمر بالمعروف + النهي عن المنكر = جزاء

دنيوي: توراة / أخروي: إنجيل = قرآن

وعليه فالنتيجة تصبح كما يلي:

1 ـــ نهي عن الشرك، مما يعني أمرا بالتوحيد

2 ـــ أمر بالإحسان، مما يعني نهيا عن الإساءة

3 ـــ 5 ـــ نهي عن القتل، مما يعني أمرا بصيانة النفس

4 ـــ نهي عن الزنا، مما يعني أمرا باتقاء الزنا

6 ـــ نهي عن الاستغلال المريب، مما يعني أمرا بالأمانة

7 ـــ أمر بالابتعاد عن الغش، مما يعني نهيا عن الاقتراب من كل ما يمت بصلة إلى ظاهرة الغش.

5

8 ــ أمر بإقامة العدل، مما يعني نهيا عن الظلم

9 ــ أمر بالوفاء، مما يعني نهيا عن الخيانة

10 ــ أمر بالاستقامة، مما يعني نهيا عن الانحرافات

كما نخلص من هذا كله إلى أن مجموعتي أ وب تتمثلان في القاعدة التالية:

أ 1، 3،4، 5، 6 ⇔ النهي عن المنكر في حضور الأمر بالمعروف

ب 2،7،8،9،10⇔ الأمر بالمعروف في حضور النهي عن المنكر.

ويعني هذا أن:

أ ــ 1+3+4+5+6⇔ ب2+7+9+10

أي أن غياب نواهي مجموعة أ يؤدي حتما إلى غياب أوامر مجموعة ب

وعليه فإن مجموعة الأوامر والنواهي في هذه الوصايا متكاملة، بحيث هي تتعانق في سبيل الوصول بالمؤمن إلى آخر المطاف، وهو اتباع سبيل الله، الذي هو في الوقت ذاته بداية المطاف، التي تتمثل في الوحدانية الإلهية.

مما يعني أن نقطة الانطلاق في هذه الوصايا التوحيد هي نفسها نقطة الوصول الله.

وهكذا فإن الأوامر والنواهي في هذه الوصايا القرآنية تسير في خط واحد، نحو هدف واحد، هو مراعاة الصراط المستقيم، الصراط الذي يؤدي حتما إلى الله الواحد الأحد.

وهذا مالا نجده في العهدين اللذين تختلف منهجية الأمر والنهي فيهما، من حيث الهدف عن المنهجية التربوية القرآنية، إذ إننا قد لاحظنا أن الأوامر والنواهي قد سلكت في العهدين خطين متقاطعين، بحيث تكون نقطة الالتقاء هي نقطة الجزاء ونقطة التباعد هي نقطة العقاب مما يجعل الإنسان الضال يبقى ضالا، إذ يصعب عليه العود إلى السبيل المعلوم، في غياب توفر شروط التوبة والغفران.

ولعل هذا ما جعل منهجية الأمر والنهي في العهدين تتسم بالنقص أو الخلل، وهذا على خلاف المنهجية القرآنية في هذه القاعدة، إذ اتسمت بالكمال والنضج،

بحيث إن عمليتي الأمر والنهي لا تتعارضان فيه ولا تتناقضان، بل هما تتكاملان، وما النهي عن الشرك مثلا إلا أمر بالتوحيد وما الأمر بالابتعاد عن الفواحش إلا نهي عن الاقتراب منها... وهكذا فكل الأوامر والنواهي القرآنية تسلك مسلكا واحدا، هو **الطريق المستقيم**، في سبيل الوصول بالإنسان إلى غاية واحدة، هي السعادة، ببعديها: العاجل والآجل، وهذا ما افتقده اليهود والنصارى في كتابيهما، فوقع الطلاق بين المنهجية التوراتية والمنهجية النصرانية.

وعلى العموم فإن ما يلاحظه قارئ هذه الوصايا القرآنية وخاصة التي وردت في سورة الأنعام، أنها اختتمت كلها بدعوة المؤمنين إلى أخذ العبرة منها ــ ﴿ **ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تعقلون** ﴾ [آية:152].

ــ ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية:153]

ــ ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تتقــون ﴾ [آية: 154]

التعقل === التذكر === التقوى === جوهر الوصايا

إن هذه السلسلة من الوصايا دلالة قاطعة على أن المنهج القرآني لم يتوقف عند النهي عن المنكر دون إعطاء الفرصة الكاملة للجاني حتى يعي بنفسه علة المنهي عنه كما هو الشأن في التوراة [تثنية:5]، ولا كما هو الحال في الإنجيل الذي ارتبط النهي فيه بالمجني عليه دون الجاني[1] أي إن العهد الجديد لم ينه عن ارتكاب المنكر بقدر ما دعا ضحايا المنكر إلى تجنب الرد على المعتدين عليهم من الجناة [متى18: 21 ــ23].

ولو حاولنا تقنين المنهجية التربوية التي تبنتها الكتب السماوية لقلنا إن المنهج الذي طبقه العهد القديم قد بالغ في النهي عن المنكر، فكان رد فعل العهد الجديد أن ركز على الأمر بالمعروف، وجاء القرآن ليجمع بينهما في قاعدة واحدة، وهي: **الأمر**

---

[1] ــ محمد علي حسن ــ بين التوراة والقرآن خلاف ــ مطبعة أسعد، بغداد، ص:9 ــ11.

بالمعروف والنهي عن المنكر. وهي أفضل منهجية تربوية للحفاظ على التوازن السلوكي بين عمليتي: الأمر والنهي.

على أن ذلك كله لا يمنعنا من القول: إن جوهر الوصايا في العهدين بقي ثابتا، وذلك بالرغم من التحريفات التي لحقت بهما، ولعل ذلك يعود إلى أن هذه الوصايا قد تواترت على ألسنة كل الرسل الذين توالوا على البشرية، مما جعلها تبقى عالقة بأذهان الناس عامة، والرواة خاصة[1].

نصل ــ إذن ــ إلى نتيجة أخيرة، وهي أن بالرغم مما وقع للعهد القديم من تحريف لأمور سلوكية كثيرة ــ فإنه قد أوقف جوهر هذه الوصايا على بني إسرائيل، حتى يتماشى مع المعتقد اليهودي: **شعب الله المختار**. إذ من غير المعقول أن يظن الإسرائيلي الذي يعتقد اعتقادا راسخا أنه مفضل بالسلالة على سائر الأجناس ــ أن هذه الوصايا تخص غيره من الناس[2].

وبعبارة أخرى إن هذه الوصايا قد اعتبرت عند بني إسرائيل بمثابة العمود الفقري لما يسمى عهد بينهم وبين الله.

وتلك هي النقطة المحورية التي ألغاها العهد الجديد الذي نجده يذكر اليهود مرارا بعبارة: «**وسمعتم أنه قيل**» أي في التوراة ليرد قائلا: «**ولكني أنا أقول لكم**» رأيا مخالفا أو مختلفا [متى 5:21 ــ48].

لقد حوّر العهد الجديد أشياء كثيرة في مضمون الوصايا التوراتية، مما يعني أن التوراة قد خضعت لتحريفات مسّت أحيانا جوهر الأمور فيها.

---

[1] ــ المقصود بالرواة هنا: كتبة العهدين.

[2] ــ راجع قصة الحضارة، ج2 ــ ص:371 ــ384.

وعلى الرغم مما حاوله العهد الجديد من إرجاع لمصداقية التوراة فإن الإنجيل نفسه قد ظهرت عليه علامات التحريف، وقد تجلت ــ على الخصوص ــ في المبالغة التي وردت فيه عن بعض الموضوعات كالطلاق والزنا والمال والزهد في الدنيا...فهي ــ فيما يبدو لي ــ أمور قد بالغ فيها الكتبة الذين دونوا الأناجيل، قصد الحد من استفحال انتشار المناكر بين بني إسرائيل.